

المحور الحادي عشر: الاستراتيجيات البيداغوجية الحديثة ووظائفها في التعليم.

مقدمة:

شهدت العملية التعليمية خلال العقود الأخيرة تحولاً عميقاً بفعل التطورات التكنولوجية، وتغير طبيعة المتعلم، وتنامي الحاجة إلى كفاءات عليا تتجاوز الحفظ والاسترجاع نحو الفهم، التحليل، الإبداع، والتعاون، وهذا التحول فرض على المدرسة أن تتجاوز الأساليب التقليدية في التدريس (الإلقاء والتلقين) لتتبنى الاستراتيجيات البيداغوجية الحديثة التي تضع المتعلم في قلب الفعل التعليمي وتجعله طرفاً نشطاً في بناء المعرفة، لا مستقبلاً سلبياً لها.

وتستند هذه الاستراتيجيات إلى نظريات التعلم الحديثة مثل: البنائية، التعلم بالاكشاف، النظرية الاجتماعية الثقافية لفيغوتسكي، والتعلم النشط، وهي تسعى إلى تطوير القدرات العقلية العليا، وتنمية مهارات التواصل، والتفاعل، والعمل ضمن جماعة، وإدارة المعرفة في سياقات متعددة.

أولاً: مفهوم الاستراتيجيات البيداغوجية الحديثة

الاستراتيجية البيداغوجية هي خطة منهجية تعتمد على مجموعة إجراءات وتقنيات تهدف إلى تنظيم الموقف التعليمي بما يمكن المتعلم من اكتساب المعارف والمهارات والكفايات بكفاءة، أما الاستراتيجيات الحديثة فهي تلك التي تعتمد على:

- **التعلم النشط (Active Learning):** نهج تعليمي يُشرك المتعلم بشكل فاعل في مواقف تعليمية (مناقشة، حل مشكلات، تجريب...) بدلاً من التلقي السلبي للمعلومات.
- **التعلم التعاوني (Cooperative Learning):** طريقة تعليمية يتم فيها تقسيم الطلاب إلى مجموعات صغيرة غير متجانسة للعمل معاً على تحقيق هدف مشترك.
- **التعلم القائم على المشكلات (Problem-Based Learning – PBL):** أسلوب تعليمي يبدأ من طرح مشكلة حقيقية أو سيناريو، ويقوم الطلاب بالبحث الذاتي والتعاون لحلها مع إشراف المعلم كميسر.
- **التعليم المدمج (Blended Learning):** مزيج بين التعليم التقليدي الحضوري والتعلم الإلكتروني، بحيث يستفيد الطلاب من مزايا الطريقتين.
- **التعلم القائم على المشاريع (Project-Based Learning – PBL):** منهج تعليمي يستند إلى تنفيذ مشروع طويل الأمد، حيث يقيس المتعلمون المعرفة من خلال استكشاف تحديات أو أسئلة واقعية وبناء منتج.

- **الصف المقلوب (Flipped Classroom):** نموذج تعليمي حيث يشاهد الطلاب المحاضرات أو المواد النظرية في المنزل، ويستخدمون وقت الحصة لحل مشكلات أو مناقشات تطبيقية بوجود المعلم.
- **التعلم الذاتي (Self-Directed Learning):** عملية يتولى فيها المتعلم مسؤولية تحديد أهدافه التعليمية وكيفية تحقيقها (باختيار المصادر، الجدول، الاستراتيجية) دون توجيه دائم من المعلم. وغيرها من الأساليب التي تعطي المتعلم أدوارًا جديدة ومسؤولية أكبر.

ثانيًا: وظائف الاستراتيجيات البيداغوجية الحديثة في التعليم

1. **تنمية التفكير بمستوياته العليا (Higher Order Thinking):** مثل التحليل، النقد، التركيب، اتخاذ القرار، وحل المشكلات.
- مثال:** عندما يُطلب من التلاميذ مقارنة مفهومين أو تحليل نص، فإنهم ينتقلون من مجرد الاستقبال إلى إنتاج المعرفة.
2. **تعزيز التعلم النشط والشاركة التعليمية:** المتعلم يصبح فاعلاً: يناقش، يطرح الأسئلة، يكتشف، يفترض، ويبرّر.
- مثال:** استخدام التعلم التعاوني في درس اللغة العربية لتحليل قصيدة: كل مجموعة تدرس جانباً (الصور البلاغية، الإيقاع، الفكرة العامة)، ثم يقدم الجميع قراءة تركيبية مشتركة.
3. **تنمية مهارات التواصل والعمل الجماعي:** الخطاب، التفاوض، حل النزاعات، تقاسم الأدوار.
- مثال:** في مشروع بحثي، يتوزع التلاميذ إلى فرق: فريق للبحث، فريق للعرض، فريق للملخصات.
4. **مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين:** الاستراتيجيات الحديثة تسمح بتنوع الأنشطة والمحتويات.
- مثال:** في الصف المقلوب، يشاهد كل متعلم الدرس في المنزل وفق سرعته الخاصة، بينما يخصص وقت القسم للتطبيقات الفردية حسب مستوى كل طالب.
5. **تحرير دور المعلم من الملّقن إلى المرشد:** المعلم ينظّم التعلم، يوجه، يشجع، يحفّز، ولا يكتفي بالإلقاء.
- مثال:** في التعلم القائم على المشكلات، لا يعطي الأستاذ الحل بل يقدّم "مقاربة" للحل ويترك التلاميذ يكتشفونه.

6. تعزيز التعلم الذاتي والاعتماد على النفس: تعلّم التلميذ كيفية التعلّم، وهي أهم كفاية في التعليم الحديث. مثال: البحث الفردي على الإنترنت حول ظاهرة لغوية ثم عرض النتائج.

7. ربط التعلم بالواقع والممارسات الحياتية: الاستراتيجيات الحديثة لا تفصل المعرفة عن سياقها. مثال: مشروع حول "حماية البيئة المدرسية" يجمع بين العلوم، العربية، التربية المدنية.

أمثلة على أهم الاستراتيجيات الحديثة:

1. التعلم القائم على المشاريع (PBL)

- يتناول التلميذ قضية واقعية
- يبني خطة عمل
- يجمع المعطيات
- ينتج مشروعاً نهائياً.
- مثال: تصميم حملة توعوية داخل المدرسة حول رمي النفايات في الأماكن المخصصة .

2. الصف المقلوب:

- يتناول التلاميذ الدرس عبر فيديو أو نص قبل الحصة
- يخصص وقت القسم للتطبيق والنقاش.
- مثال: مقطع فيديو حول "علامات الإعراب" قبل حصة النحو.

3. العصف الذهني:

- إطلاق الأفكار دون حكم مسبق لحل مشكلة أو فهم مفهوم.
- مثال: اقتراح حلول للحد من العنف المدرسي.

4. التعلم التعاوني:

- يتعلم الطلاب ضمن مجموعات صغيرة بهدف إنجاز مهمة مشتركة.
- مثال: إنجاز خريطة ذهنية لدرس أنماط النصوص.

5. استراتيجية حل المشكلات:

- عرض مشكلة واقعية ثم دفع الطلاب إلى استنتاج الحلول.
- مثال: مشكلة لغوية أو حسابية تتطلب تحليل ومعالجة.

الخاتمة:

إنّ الاستراتيجيات البيداغوجية الحديثة لم تعد مجرد تقنيات إضافية، بل أصبحت مدخلاً أساسياً لتجديد المدرسة العربية وتطوير أداء المتعلم والمعلم معاً، فهي تنقل التعليم من التلقين إلى البناء، ومن المحتوى الجاهز إلى إنتاج المعرفة، ومن التعلم الفردي إلى التفاعل الجماعي، وبذلك تتحقق وظائف التربية الحديثة: تنمية الكفايات، بناء شخصية المتعلم، وتحسين نوعية التعلم.